1385

صاحب الجلالة الملك يترأس أعمال المجلس الأعلى للماء

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

إنَّنا تتبعنا أعمالكم أثناء اجتماع المجلس الأعلى للماء، كما أننا تتبعناكم في جميع أشواط المناقشة والمذاكرة، وقبل أن نقول فيكم الكلمة التي نريد أن نختتم بها هذه الأعمال أرى أنه من المستحسن أن نبدأ بآية وجدتُها في سورة الحجر وأنا أتصفح كتاب الله الكريم، تقول هذه الآية :

﴿وأرسلنا الرياحَ لواقحَ فأنزلنا من السَّماء ماء فأسقيناكموه، وما أنتم له بخازنين﴾.

وبما أنَّني متفائل ومؤمن برحمة الله وبأخذه بيد عبده، فالنَّفي في (وما أنتم له بخازنين) ليس من باب الاستحالة بل من باب المؤاخذة، نعطيكم الماء ونسقيكم بالماء ولا تخزنونه، (وما أنتم له بخازنين)، فليس من باب الاستحالة على بني آدم ولا من باب الاستحالة على سلطان العلم الذي وهبهم الله إياه وليس بمستحيل على الانسان أن يختزن الماء، ولكن وهذه ملاحظة من البارىء عز وجل «وما أنتم له بخازنين».

وإذا كان كتاب الله سبحانه وتعالى كتاباً يصلح لجميع الأزمان وفي جميع الأماكن ولجميع البشر فأظن أنه يجب علينا نحن الذين نعيش في أواخر هذا القرن في جميع القارات أن نتدبر هذه الآية التدبُّر الكامل.

الكل يعلم أن الغلاف الجوي الذي يحيط بكوكبنا، وهو الأرض، تغير تغيراً ملموساً وخطيراً جداً في الخمس وعشرين سنة التي مضت، تغير هذا الغلاف لأسباب متنوعة، ولست عالماً ولا تقنيا جيوفزيائيا ولا متخصصا في علم النجوم ولا في علم الفلك، ولكن حسبما قرأت وسمعت تغيَّر هذا الغلاف لأسباب متعددة : أولا : مما لاشك فيه ــ حتى إذا لم يتم إثباته فلا يمكن لأحد أن ينفيه ــ فإن التجارب النووية لها عملها ولو كانت تحت الأرض في هذا التغير، ماء البحر الذي يكون كنز ومستودع الماء كيفما كان احتياط العلماء حينما يلقون الفائض مما يستعملونه في مجال الطاقة الذرية يتضرر من هذا الأمر، هناك التلوث الجوي، لأن الرياح لا تركد بل تدور، فهذه العوامل كلها جعلت العلماء كيفما كانت أصنافهم وقاراتهم يلاحظون حتى في البلاد التي هي في غنى عن الماء أو تتوفر على مياه جمة، ان كثرة المياه وكثرة الأمطار قد اضمحلت، وان الكارثة لا قدر الله التي يمكن أن تكون من علامات الساعة أو تنبىء بتأخر البشرية هي نقصان الماء (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

فالحياة التي هي ضد الموت والحياة المشرقة التي تمكن البشرية من السير قدماً في طريق التقدم وفي طريق العلم واقتناء العلم لابد لها من الماء، فمما لاشك فيه أنه لا قدر الله إذا رأينا تناقصا من الماء على وجه الأرض فسوف يكون ذلك بمثابة كارثة لا يمكن تصورها، لماذا، لأن هناك كما تعلمون الدول النامية والغنية، وهناك الدول النامية المتوسطة الغنى، وهناك الدول التي في طريق النمو، فحتى إذا وقع نقص في الماء فسيسهل على الدول الغنية استعمالُ عدة وسائل من جملتها التنقيب الذي يكلف أموالا باهضة، وفي إمكانها أن تلجأ إلى تحلية

ماء البحر، وفي إمكانها اللجوء إلى عدة وسائل للقيام بهذا العمل، ولكن هذه الدول محدودة جداً من الناحية الجغرافية والعددية، فحتى إذا أفلتت من هذه الكارثة بعضُ الشعوب فإن معظم شعوب الأرض ستئنُّ من وطأتها وتتكبد الخسائر الجسيمة.

لهذا علينا أن نرجع لهذه الآية ونتدبرها (وما أنتم له بخازنين) وعلينا أن نقول (ربنا اسقنا أولا وثانيا، واهدنا وألهمنا لأن نكون لهذا الماء من الخازنين).

ولكن خازنين لأي ماء ولأي هدف وبأية كيفية ؟

في السنة الماضية أشرتُ في خطاب إلى دراسة مهمة قامت بها مجموعة من العلماء الأمريكيين وعلى رأسهم السيد ستوكتون وجماعته، وحاولوا أن يعطونا سلماً أفقيا لتاريخ الماء في المغرب ولكميات الماء على مدى ألف سنة، ورأينا أن تلك الأرقامَ تأتي دائما بكيفية دورية أي كل عشرين سنة أو اثنتين وعشرين سنة تقريباً، فتكون عشرون أو اثنتان وعشرون سنة سنوات معطاء، وتجيء بعدها خمس سنوات أو أربع سنوات عجاف، وآنذاك نبهتُ الجميع وأنبه الجميع اليوم مرة أخرى إلى أننا على ضوء تلك الدراسات يمكن أن نقول انَّ المغرب خرج من السنين العجاف ودخل في طور السنوات المعطاء، وكنت قلت ان أمامنا عشرين سنة للتنقيب وللتحليل وللتخطيط، وزدت وقلت إن علينا أن لا ننسى أنه في أواخر العشرين سنة المقبلة سيكون سكان المغرب أربعين مليون نسمة.

طيب، فإذا نحن عرفنا هذا كله أي أن أمامنا عشرين سنة، وانه بعد عشرين سنة سيصبح عدد سكان المغرب أربعين مليون نسمة، فماذا بقي أمامنا ؟ بقي أمامنا أن نعرف أن خيرات المغرب تنقسم إلى أقسام، فهناك مياه المطر التي تنزل مباشرة من السماء إلى الأراضي الفلاحية أو للاستعمال، وهناك المياهُ الجوفية المتوسطة والعميقة التي تتكون من ذلك المطر والتي يخزنها الله سبحانه وتعالى لنا فيضعها في جيوب ويلهم عباده سبحانه وتعالى لاكتشافها واستعمالها، وهناك مياه الأودية، وهناك مياه يمكن تحليتها على شرط أن يتوفرَ البلدُ على الطاقة الكفيلة بأن تجعل من الملح الأجاج العذبَ الفرات.

أعتقد شخصياً أن الوزارات المختصة في هذا الباب وبالأخص وزارة التجهيز ومصلحة البحث عن الماء لمست في الحقيقة خطورةَ المشكلة، وحينما أقول المشكلة فلا أقصد المشكلة الاسكانية، بل المشكلة الحسابية التي أمامهم بالنسبة لعامل التاريخ وبالنسبة لعامل عدد السكان، فلذا سيبقى علينا جميعا أن نكون ملمين بما نتوفر عليه من مياه، وحينما نتعرف على ما نتوفر عليه من ماء يبقى علينا أن نقول، انَّ هذا النوع سوف يصلح للفلاحة وهذا النوع سيصلح للشرب، وهذا النوع سيصلح للتنظيف، وهذا النوع سيصلح للخزن.

الماء الصالح للشرب يجب أن نوفره لأمتنا لا للشرب فقط، بل للطهارة كذلك، علينا أن لا ننسى أن المغرب دولة مسلمة، وأن الاسلام يوصي بالوضوء وبالغسل، (الله طهور يحب المتطهرين). قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن الفقهاء يقولون : ان من سنن النبي صلى الله عليه وسلم انه حينما كان يتوضأ كان يوصي بتقليل الماء، ويقول ابن عاشر (تقليل الماء وتيامن الانا)، بحيث لابد من الماء للشرب، ولابد من الماء للغسل وللطهارة، ولأننا بلد طاهر متطهر.

ولكن في آن واحد يجب كذلك أن نكون بخلاء بكل نقطة من الماء الجاري الصالح للشرب والصالح للطهارة، ويبقى علينا آنذاك أن نقرر أن هناك سدوداً، فتلك السدود لنا الاختيار في أن نستعملها للشرب أو لغيره، وإذا توفرنا على المياه الجوفية الكافية، والمغرب متوفر عليها ربما خصصناها للشرب لأن ماء الشرب يشكل نسبة ضعيفة بالنسبة لماء السقي، إذن يمكن أن نختار حينما نجد المياه الجوفية.

إذا أمكن لنا حقيقة أن نجد المياه الجوفية على صعيد الوطن كله فأنا أقترح أن تكون المياه الجوفية للشرب حتى تبقى المياه المخزونة في السدود للفلاحة وللفلاحة المتطورة التي يجب أن تنتج أكثر كل سنة، وحينذاك سيكون بإمكاننا أن نعرف كيف نضبط هذه الخيرات وهذه المياه، ولاسيما وأنه الآن من الناحية الفلاحية أن الأراضي التي تحيط بالسدود وحتى لو كانت يابسة قبل بناء السدود تصبح ولله الحمد ملأى بالماء وحول السدود التي هي مبنية الآن، لا أقول يمكن أن يوجد الماء، بل الماء موجود حتماً كلما حفر بئر، فإذن عندنا السد، وعندنا قنوات السد، وعندنا المياه التي تتكون من حوض السد، تلك المياه التي يسهل في نظري الآن استثمارها بفضل الذراع المحورية.

حقيقة إلى حد الآن كان تجهيز الفلاحة كله مبنيا على القنوات، وتعلمون أن القنوات أولا تتطلب الوقت، وثانيا يتبخر نصف أو ثلث الماء الذي يجري فيها إذا تعرض لأشعة الشمس، وأخيرا حتى إذا كدَّت وجدَّت مصلحة الفلاحة فلا يمكنها أن تسقي أكثر من 6000 هكتار بالطريق التقليدي.

فإذا نحن وضعنا سياسة خاصة بكل حوض سد بني أوسيتم بناؤه فيوجه ماء السد إلى السقي، وماء الآبار التي حول السد والتي ليست عميقة آرتزية ستوجه للأذرع المحورية، وكل واحدة يمكن أن تسقي 50 أو 80 هكتار، وعندئذ لا نحتاج إلى المياه الجوفية العميقة ولا إلى الوقت الذي تتطلبه القنوات، ولكن يكون هناك تبخر للماء.

هذه أمثلة، وإذا نحن قلنا انه إذا أمكن أن نعطي أسبقية لماء الشرب للمياه الجوفية التي تتجدد، فالأمطار والحمد لله التي تتجدد. تمكننا آنذاك أن نكون مثل ذلك الربان الذي هو في سفينة أو في طائرة يعطي الدفعة حينما يجب أن يكون المهل، ويستعمل جميع محركاته ووسائل دفعه يمكن السير بآلته سيرا مرفوقا مضبوطا شاملا آخذين بعين الاعتبار قبل كل شيء أن علينا الآن أن لا ندخل في هذا الصنف المؤاخذ عليه في القرآن وأن نكون خازنين للماء «وما أنتم له بخازنين».

ليست من باب الاستحالة كما قلت سابقا وأنا مسلم والله سبحانه الكريم المعطاء يحب العبد الملحاح، بل ان ما أنتم له بخازنين هي مؤاخذة ولوم وعتاب.

أظن أنه قيل في الماء خلال اليومين اللذين اجتمعتم فيهما من الناحية التقنية ما يمكن أن يقال كله.

وبكل صراحة لا يمكن لفكر بشري نظرا لاختلاف أنواع تدخلاتكم أن يتدخل بكيفية خاصة ومدققة في كل الجوانب التي تدارستموها، ولكن بقيت هناك نقطتان، النقطة الأولى يقول الله سبحانه وتعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين).

أعتقد شخصياً أنه يتعين علينا قبل أن نفكر في استعمال الماء وفي استعماله وفق أحسن الطرق وأقومها أن نضع لأنفسنا حواجز حتى لا نكون من المبذرين ومن إخوان الشياطين.

وهنا يدخل قبل كل شيء دور تقنيي الماء، ولو أدى ذلك إلى أن نضع قانونا صارماً لاستعمال الماء ولحسن استعماله، ولهذا أعطي أسبقية الأسبقيات إلى وثيقتين، الأولى هي وثيقة الماء وفلسفته وأهميته، والثانية القانون الذي سنتمكن به من استعمال الماء ومن حسن استعماله.

وأملي أن يتم هذا في أقرب وقت حتى يمكننا أن نضعه أمام جهازنا التشريعي، فكما تعلمون الدورة الربيعية للبرلمان تبدأ في أبريل وتنتهي قبل حلول فصل الصيف ونحن الآن في شهر يبراير، فأظن أنه يمكن أن نضع قوانين الماء بكيفية تدريجية، وإذا كان هذا القانون في آخر المطاف يتكون من 100 فصل، وأنا قانوني أعتبر من الناحية القانونية أنه يمكننا أن نكتفي أمام البرلمان بعشرين فصلا التي تضع الحواجز في وجه التبذير، وسنقدم هذه الفصول للبرلمان في الدورة المقبلة، ونزيد في إتقان القانون خلال فصل الصيف، ونضيف إليه بنوداً أخرى في الدورة التالية للبرلمان على الأقل، حتى إذا جاءت الأمطار في أكتوبر من السنة المقبلة تجدنا مجهزين بالبنود الوقائية وبعدها بالبنود التكميلية، فهناك بنود وقائية من ضياع الماء، وهذه على الأقل يمكن لها خلال هذين الشهرين أن يوجد لها إطار وفلسفة ودوافع المشرع، علما منا أن القانون ليس وحيا يوحي، وانه يمكن أن يدخل عليه الناسخ بحيث يجب علينا أن نقنن استعمال المياه، ونجنبها الضياع لما يطرأ عليها من تبذير، وإذ ذاك سيمكننا أن نكون مطمئنين على ما اكتشفناه من خيرات أو ما تسببنا له بعون الله من خيرات.

النقطة الثانية كما قلنا في عدة خطب، حمدنا الله سبحانه وتعالى وشكرناه على أن هدانا كلنا إلى سياسة السدود، وحينما نقول كلنا لا ننسى أن فاتحة السدود هو سد الحسن الداخل الذي كان بمال الجميع حينما زدنا في أثمان السكر وقلنا ان هذا السد سوف يصبح سد المواطنين جميعا، وباستجابة المغاربة لدعائنا تصبح سياسة السدود ليست سياسة الحسن الثاني بل سياسة جميع المغاربة، لأنه وقع التجاوب وسرنا في التجاوب واستمر التجاوب.

وإيمانا منا جميعا بصلاحية هذه السياسة قررنا كما قلنا لكم أن نبني سدا كل سنة، ومما يثلج الصدر ويجعلني أبشر رعايانا الأعزاء الأوفياء ان الحلم أصبح اليوم حقيقة، فأربعة عشر سدا ليست تخمينا ولا تفكيرا ولا حلما، بل أصبح لكل سد دراسته الجاهزة وما يترتب عنها من الناحية التقنية والفلاحية والكهربائية، وأصبح كل سد في محفظة، وكل محفظة تحمل رقما، فعندنا أربع عشرة محفظة لأربعة عشر سدا لا تحتاج سوى التمويل للشروع في إنجازها، والتمويل ليس شيئا صعبا في هذا الميدان، فهناك عدة دول مستعدة للمساهمة في التمويل بكيفية ثنائية ومباشرة مع المغرب هناك البنك الدولي، وصناديق التنمية الموجودة في أوربا وافريقيا وفي البلدان العربية كالسعودية والكويت وأبو ظبي مستعدة كذلك للمساهمة في التمويل.

وأكرر أن إيجاد هذا التمويل ليس بالشيء الصعب، لأن جميع الصناديق والأبناك ترى أن تمويل مشاريع السدود يرجع عليها بالفائدة المضمونة كيفما كان الحال.

حضرات السادة

إذا نحن جمعنا في فذلكة عامة ما توصلتم إليه من نتائج وما أعطيته لكم من توجيهات بكل تواضع لأن هذه تقنية لا يمكن أن أتدخل فيها، وإنما أعطيتكم توجيهات أظن أنها توجيهات رب البيت ورب الأسرة حتى لا نبذر وحتى لا نضيع ـــ فسنصبح ويصبح أبناؤنا وحفدتنا في مأمن من خطر قلة الماء.

وإذا كان البشر يتزايد كذلك، هناك من يقول بأن البشر يزيد والماء لا يزيد، هذا ليس صحيحا، لأنه كلما زاد مليون نسمة يجعلنا الله سبحانه وتعالى نكشف خيرات جديدة، وهنا يجب علينا أن نكون حامدين لله وشاكرين.

في السنة الماضية لما خطبت في ورزازات وتافيلالت لم يكن عندي أي عنصر موضوعي ماعدا إيماني بالله، وأنا كما أقول لكم رجل متفائل، والمؤمن يجب أن يكون متفائلا حتى منَّ الله علينا بما وجدناه في عين العاطي.

وهنا سأقول لكم ما قاله لي مستشاري السيد انبرودجي الذي يعرفه جلكم لما كان تلميذه بكيفية مباشرة أو غير مباشرة يعتقد السيد انبرودجي ان الماء الذي اكتشفناه في تافيلالت هو خزان من ضمن 13 خزانا للماء موجودا في المغرب، ويعتقد أن هذه الخزانات إذا وضعت بعضها إلى جانب بعض يمكن لمساحتها أن تصل إلى 300 ألف كيلومتر مربع الشيء الذي كنا نقول عنه بالمغرب قديما المغرب الصالح، هذه هي اعتقاداته مع انه متشائم لا يريد اعطاء كل الأرقام، ولكن اعتقاداته أن هناك 13 جوفا، وجوف تافيلالت واحد من 13، وفي نظره المساحة التي يمكن أن تغطيها تحت الأرض تلك الجيوب تصل إلى 300 ألف كيلومتر مربع، وعين العاطي مثلا 13 ألف كيلومتر مربع، ويقول السيد انبرودجي : ان عين العاطي بتافيلالت — وكم أتمنى أن يكون مصيبا — لا تتوفر على 560 مليون متر مكعب فقط بل على 20 مليار متر مكعب.

لم يبق لي إلا أن أختم كلمتي على هذه الرَّنة المتفائلة رنة اليمن والأمل والعمل والتشجيع لكل من يعمل.

عندنا في المغرب وليس هناك من ليس له عادة في بيته ونحن أسرة كلنا، والمغرب أسرتي الكبيرة، وهو أنه عندما يأتي شخص ما ببشارة خير لا نتركه يعود وهو خالي الوفاض.

وحينما تلقيت خبر عين العاطي أردت أن أقدم باسمي وباسمكم هدية للعامل والمسؤولين عن مصلحة المياه جزاء لهم على عملهم وحفاظا على عادة نتبعها في الأسر ونحن الأسرة الكبرى.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرسل علينا رياحا لواقح، وأن ينزل علينا ماء من السماء ويسقينا، فليلهمنا سبحانه وتعالى حتى نكون له خازنين، وما ذلك على الله بعزيز.

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وإثر ذلك تقدم للسلام على جلالته أعضاء المجلس الأعلى للماء، ثم قدم السيد أحمد عرفة عامل إقليم الرشيدية مجموعة المهندسين والتقنيين والأعوان الذين خططوا لانجاز برنامج استكشاف خزان الماء الذي أطلق عليه جلالته اسم (عين العاطي)، وسلم جلالته بالمناسبة هدية رمزية لهذه المجموعة وبعدها أقام جلالته حفلة استقبال لأعضاء المجلس الأعلى للماء.

حضر هذه الجلسة الختامية صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، والدكتور عز الدين العراقي الوزير الأول، وبعض أعضاء الحكومة، والمستشارون الملكيون، وعدة شخصيات مدنية وعسكرية.

الأربعاء 19 جمادى الثانية 1407 — 18 يبراير 1987